

جدل الهوية و تمثلاتها المعرفية المعاصرة

The controversy of identity and its contemporary cognitive representations

شمس الدين شرفي*

كلية الأدب واللغات، جامعة خنشلة، الجزائر،-chamseddine.chorfi@univ-khenchela.dz

تاريخ الاستلام: 2020/12/24؛ تاريخ القبول: 2021/04/19؛ تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص:

شغل سؤال الهوية الإنسان في مختلف عصور الكتابة، منذ ملحمة جلجامش القديمة إلى أحدث النصوص المعاصرة. وقد صارت مسألة تمييز الأنا عن الآخر مسألة ملحة شغلت الأدباء ورجال الدين والفلاسفة. بل إن جدل الهوية قد اتسع في العقود الأخيرة، بسبب تناحر الإيديولوجيات وطغيان الدعاية السياسية وتراكم رواسب التاريخ والتحولت الاجتماعية وتنوع الخبرات المعرفية والثقافية للجماعات البشرية. كما إن حضوره كمبحث أساسي في حقول معرفية مختلفة ومتنوعة من حيث المنشأ والغايات و الأدوات المنهجية والإجرائية دفعنا إلى تفصيل البحث في الهوية وتقصي دلالات مفهوم الهوية على مستويين وانطلاقا من تصورين متغايرين:

- الأول هو التصور الكلاسيكي للهوية الذي ينهض على مركزية الذات المفكرة، فهو يربط الهوية بالتصورات المنطقية ومعادله كوجيطو ديكارث الشهير.
- والآخر هو التصور الحدائي وما بعد الحدائي، الذي ما فتى يقوض اليقينيّات وينفي المفاهيم المطلقة، ويعادي التصورات المثالية .

كلمات مفتاحية: سؤال الهوية؛ الأنا؛ الجماعات البشرية؛ الذات المفكرة؛ التحولات الاجتماعية.

Abstract:

The question of human identity has been filled in various eras of

writing, from the ancient Epic of Gilgamesh to the latest contemporary texts. The issue of distinguishing the ego from the other has become an urgent issue that has preoccupied writers, clerics and philosophers. Indeed, the controversy of identity has widened in recent decades, owing to the rivalry of ideologies, the tyranny of political propaganda, the accumulation of historical sediments, social transformations and the diversity of knowledge and cultural experiences of human groups. His presence as a core research in different fields of knowledge and diverse in terms of origin, objectives and methodological and procedural tools led us to elaborate the search for identity and investigate the implications of the concept of identity on two levels and from two different conceptions:

- The first is the classical conception of identity, which is based on the centrality of the thinking self, linking identity with logical perceptions and its famous Coquito Descartes equation.

- The other is the modernist and postmodern conception, which has been undermining certainties, denying absolute concepts, and countering idealistic perceptions.

Keywords: identity; the ego; the other; human groups; social transformations.

1. المقدمة:

يروى ابن الجوزي (ت 597 هـ) أن هبنقة يزيد بن ثروان قد بلغ من الحمق أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف وقال: أخشى أن أضل نفسي ففعلت ذلك لأعرفها به، فحوّلت القلادة ذات ليلة من عنقه لعنق أخيه، فلما أصبح قال: يا أخي، أنت أنا فمن أنا؟⁽¹⁾.

وبعيدا عن بغداد، في شبه الجزيرة الإيبيرية، بعد مضي أربعة قرون ونيف، نلفي سيرفانتس (1547- 1616) يحدثنا عن رجل يدعي (دون كيشوت)، أغوته قصص الأبطال والمغامرين، فأعدّ عدته للخروج واتخذ درعاً قديمة، ووضع خوذة، واحتمل ما

(1) - ينظر عبد الرحمن بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، شرح عبد الأمير مهنا، ط 1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990، ص 43.

يشبه رمحاً، وامتشق شيئاً أقرب إلى السيف، ثم ركب حصاناً أعجفَ هزيباً، وأطلق عنانه يسير به حيث شاء، تداعب خياله صور الفرسان الغابرين. وقد أغوى فلاحاً من أبناء بلدته البسطاء، بعد أن وعده بأن يسلمه ولاية إحدى الجزر حينما يبسط سلطانه وسطوته، فأمن به وركب حماره سائراً خلفه⁽¹⁾.

تفتح هاتان الروايتان - على ما بينهما من تباعد في الزمان والمكان واللغة - آفاقاً على التصور التقليدي للهوية وما يلابسه من مفاهيم؛ فكلتاهما تتحدث عن شخص أصيب بلوثة في عقله وصار يعاني اختلالاً في الشخصية، دفع الأول (هبنقة) إلى الاستعاضة عن المحددات الداخلية للهوية بمحدد مصطنع، ولكنه غير ذي قيمة في نظر الأعيان (قلادة الودع والخزف والعظام). أما الآخر فقد عمد إلى الاستعاضة عن المحددات الخارجية، بما هي محدّدات واقعية وموضوعية نسبياً (الوضع المادي و المكانة الاجتماعية المتدنية وكل ما يشير إلى الطبقة) بمحددات داخلية، تقوم على افتراض هوية أخرى ينهض بها التخيل والسر.

إن الجامع بين الروايتين يكمن في ترتيب العناصر والمواد المشكلة للهوية، من حيث هي ضرورة وجودية، بها يستقيم حضور أي فرد في الجماعة البشرية؛ إذ يظهر جلياً أن العقل السليم الكامل عامل شديد الأهمية في تشكيل صورة الفرد الذاتية عن نفسه. وعلى هذا الوجه يتحدد حضوره في الميتافيزيقا القديمة؛ فحضور العقل بما هو ملكة ذهنية يتأسس عليها إدراك الإنسان لذاته، ووعيه موقع هذه الذات في العالم، هو في جميع الحالات شرط أساسي لتحديد الهويتين: هوية الذات وهوية الأعيان.

ورواية ابن الجوزي، رغم ما فيها من بساطة ناشئة عن حس الدعابة والنكتة، ومع كونها قد سقت بغرض التفكه والتسلية، تتصل اتصالاً وثيقاً بتشكيلات مفهوم الهوية وتنميطاته المختلفة؛ فالوعي بالهوية من جهة كونها إدراكاً لكيونة متفردة ومتجانسة مع ذاتها، ينهض أولاً على قوة العقل على التأليف بين الموضوعات وأشكال الوجود، بالرغم من الاختلاف في التفاصيل والأجزاء الصغرى اختلافاً يصل أحياناً إلى حد التناقض الظاهري، لكنه تناقض ينغرز في صميم الأشياء والكائنات، ويخلص في

(1). ينظر سارفانتس، دون كيشوت، ترجمة صياح الجهيم، ط 1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1999 ص.ص 5-

النهاية إلى الائتلاف والتناغم العام بين كل مكونات الحياة؛ فالعقل هنا هو حجر الرحي الذي تتشكل على أساسه الهوية، وأي غياب له يفضي إلى اختلال في الهوية أو نسيانها أو التلبس بهوية أخرى مصنوعة بدل الهوية الأصلية.

2. أسئلة الهوية :

الهوية - في المنطق - هي مطابقة الشيء لذاته مطابقة تامة تجلو حقيقته وتبرز كينونته الأصلية المتفردة، فالهوية على هذا الوجه: "هي ما يكون به الشيء هو هو، فهو باعتبار تحققه يسمى ذاتا، وباعتبار تشخصه يسمى هوية"⁽¹⁾. ويزيد هذا التصور إيضاحا علي بن محمد الجرجاني (ت 816 هـ) حين يجعل من الهوية "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"⁽²⁾.

ومن البين هنا أن رأي الجرجاني يكشف عن حضور ميتافيزيقي قوي للهوية بما هي وصل بين زمنين واستمرار للذات الواحدة خلالهما؛ فما بين الشجرة والنواة هو ميراث كامل من الصفات والخصائص التي تستمر عقب كل تحول، وتبقى رغم كل تغير، فالذات هنا وجود يطاول العدم، وثبات ينازع التغير.

ويعتقد جميل صليبا أن اسم الهوية وضع أولا للدلالة على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، بل يذكر عن الفارابي قوله: "هوية الشيء، وعينيته، وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، كل واحد. وقولنا إنه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته، ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك"⁽³⁾. وبناء على هذا المفهوم استخلص مبدأ الهوية الذي تنبني على أساسه أغلبية التحليلات المنطقية والأحكام العقلية؛ لأن المحمول في هذا الحكم ليس جزءا من مفهوم الموضوع وإنما هو عين الموضوع نفسه.

(1). أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1991، ص 961.

(2) - علي بن محمد بن علي الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الايباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 198.

(3). جميل صليبا، المعجم الفلسفي (مادة الهوية)، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص.ص 529 - 530.

وعلى هذه الصورة فإن التصور الميتافيزيقي للهوية قام دائما على اعتبار الهوية وحدة متجانسة وكلا غير منفصم؛ إذ هي اتحاد الكائن المطلق مع ذاته اتحادا يستحيل معه منطقياً الفصل بين الوجود والماهية فلا ماهية لما هو غير موجود⁽¹⁾. غير أنها يمكن أن تتحدد على المستوى الميتافيزيقي بوصفها ماهية سابقة على الوجود بالمعنى الفلسفي، فلا شيء يوجد دون أن تتحدد هويته الكاملة مسبقا. وربما كان الأصل في هذا التصور هو النسق اللاهوتي الديني، الذي يتأسس على الاعتقاد بأن وجود الكائنات جميعا ليس غير تجل لإرادة خالق ذي قدرة غير محدودة وعلم لا متناه.

لكن مفهوم الهوية غدا اليوم أكبر وأوسع من هذا التسوير المنطقي القديم، وانتهى إلى صعوبة في التحديد وعسري في المفهمة؛ ذلك أنه "على الرغم من البساطة الظاهرية التي يتبدى فيها مفهوم الهوية فإنه على خلاف ذلك يتضمن درجة عالية من الصعوبة التعقيد لأنه بالغ التنوع في دلالاته واصطلاحاته. فالهوية ليست كيانا يعطى دفعة واحدة وإلى الأبد. إنها حقيقة تولد وتنمو، وتتكون وتتغير، وتشيع وتعاني من الأزمات الوجودية والاستلاب"⁽²⁾.

و الهوية من وجهة نظر فريجه (1800- 1900) غير ممكنة التعريف، لأن كل تعريف أو تحديد هو في حد ذاته هوية⁽³⁾. ولعل مرد هذا الجزم عند فريجه يرجع إلى تنوع المداخل المعرفية التي يصار إلى تحديد الهوية من خلالها؛ فقد أفضى تنوع العلوم الإنسانية والتطبيقية وتشعب فروعها إلى ظهور مفاهيم شتى للهوية. لكن الغالب على موقف فريجه هنا أنه يركز على المفاهيم الرياضية المنطقية المجردة، فهو بعيد عن المضامين المتصلة بصور الهوية وتشكلاتها الشخصية والإثنية والثقافية واللسانية والأدبية والبيولوجية وغيرها.

ومع أن موقف فريجه من صعوبة تحديد الهوية لم يك حائلا دون نزوع المفكرين والأكاديميين إلى طرق أبواب الفكر وتقليب وجوه النظر في المسألة؛ إلا أنه من الضروري

(1) - فتحي التريكي، الهوية ورهاناتها ترجمة نور الدين السافي وزهير المدني، ط 1، الدار المتوسطة للنشر، تونس 2010، ص 38.

(2) . أليكس ميكشيلي : الهوية، ترجمة علي وطفة، ط 1، دار الوسيم للخدمات الطباعية، 1993، ص 7.

(3) Universalis 2009. dvd rom. See : identité , in Encyclopædia.

أن نلقت النظر إلى وجاهته ومطابقته لكثير من الآراء في هذا الشأن؛ وهذا يدفع الباحث إلى بسط الدلالات المعرفية لمفهوم الهوية وضبطها حسب أنماط تشكلها في حقول معرفية كثيرة؛ فقد لاحظ أليكس ميكشيلي أن توظيف مفهوم الهوية في مجال العلوم الإنسانية أخذ طابعا شموليا يطرد على نحو متزايد،. وعليه فقد اتجهت دراسته إلى رصد نماذج متعددة لمفهوم الهوية، منها الهوية الموضوعية والهوية الذاتية والهوية الوثقى والهوية الحاضرة والهوية الاجتماعية، ثم الهويات السلبية والتفاضلية⁽¹⁾.

وإذا كانت الهوية لا تتحدد إلا عبر مجموع العلامات الخاصة التي من شأنها أن تسمح لنا بتعريف موضوع أو شيء ما؛ فإنه من الصعوبة بمكان التوصل إلى تحديد الهوية، لاسيما في مجال العلوم الإنسانية. والسر في صعوبة التحديد هذه هو التنوع الكبير في العناصر الأولية التي تكون المسائل الإنسانية، لأنها في الغالب الأعم مفاهيم وخبرات وتصورات، ينهض منطلقها الأول على التجربة المعيشة، أو تستخلص من النسق الفكري العام للجماعة البشرية والأنماط السلوكية المتنوعة⁽²⁾.

ويمكننا الاستئناس بالتفريع الآتي لضبط مفهوم الهوية، محاولة منا لحصر استعمالاته المعرفية المتنوعة، باعتبار العلوم التي تتبناه كوسيط مفهومي يتحدد عبره نسق من الحقائق أو التصورات:

الهوية	
1- علاقة الإنسان بذاته (الهوية الفردية)	2- علاقة الإنسان بالعالم (الهوية المشتركة)
- إدراك الفرد لجسده (الهوية البيولوجية).	- اللغة الأم.
- إدراك الفرد لشخصيته (الهوية النفسية).	- الأدوار والرتب الاجتماعية.
- الهوية الجنسية (الجنس).	- المكان والجغرافيا.
	- التاريخ وإسقاطاته المختلفة.
	- التمثلات الثقافية والرمزية.
	- الدين والقيم الروحية.
	- المرويات والنصوص والمنجز الفني.

(1). ينظر أليكس ميكشيلي، الهوية، ص 11.

(2). ينظر المرجع عينه، ص 16.

على الرغم من التقسيم البين للهوية على أساس وجود هويتين، إحداهما ذاتية خاصة والأخرى موضوعية عامة، إلا أن الحدود بين تمظهر هذه الهوية أو تلك تكاد تكون واهية وغير بينة المعالم؛ فمفهوم الهوية مفهوم علائقي مركب تتداخل في تحديده مجموعة انتماءات، منها الانتماء الجغرافي (شرق/غرب، شمال/جنوب) والانتماء العرقي (أبيض، أسود) والانتماء الطبقي (العمال، الفلاحون، النُخب) والانتماء الايديولوجي.

وفضلا عن تداخل الانتماءات يمكننا التذليل على هذه الحقيقة بالإشارة إلى ما في الهوية البيولوجية وحدها من مشكلات؛ فإدراك الإنسان لجسده يطال جميع الملامح والصفات كالطول والقصر وشكل الوجه ونوع الشعر وغيرها، وهو مرتبط كذلك بلون البشرة، وهذا العنصر محدد عرقي أساسي، كما إن الهوية الجنسية للفرد مرتبطة بقضايا الجندر وتلويحاتها في الفلسفة النسوية والدراسات الثقافية المعاصرة. وعلى هذه الصورة سننحو إلى بسط هذا المبحث وفق التقسيم الآتي:

1.2 الهوية الفردية:

تهض الهوية الفردية على وعي الإنسان بذاته من خلال خصوصيته التي تتيح له أن يشعر بالاختلاف عمن حوله؛ فالهوية من هذه الجهة: "باب الوجود، أو هي الوجود ذاته، فهي تحيل على الفرد باعتباره هو ذاته من خلال صفات لا تكون لغيره، بها يتحدد مساره داخل مجرى زمني يمتد من لحظة الولادة إلى لحظة الممات استنادا إلى عناصر ثابتة مرتبطة به. ولهذا فإن التمييز لا يستقيم إلا إذا استند إلى صفات أو أسماء أو رموز تقود إلى فصل هذه الذات عن تلك والنظر إليها في خصوصيتها وتفردتها. فلا وجود لكائن يضع نفسه خارج أي تمييز⁽¹⁾.

وربما تعالق مفهوم الهوية الفردية بمفهوم الشخص؛ فالكائنات العاقلة تسمى أشخاصا لأن طبيعتهم تعينهم كغايات في حد ذاتها. والشخص هو وجود له في ذاته قيمة مطلقة. لكن وعي الذات لا يمكن أن يتجلى في صورة شخصية إلا من خلال القصد. ووعي الذات كوعي الشخص هو وعي قصدي. وتشكل الشخص في وعي الذات هو قصد عملي يحيل الشخص إلى (مشروع كينونة) قوامها الرئيسي يتمثل في كيفية التعامل مع

(1) - سعيد بنكراد : سيميائيات الصورة الإشهارية (الإشهار والتمثلات الثقافية)، ط 1، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 150 .

الذات ، ومع الآخر في الآن نفسه⁽¹⁾.

ويمكن رد الهوية الفردية إلى محددتين اثنتين يلزامان الإنسان في كل أطوار حياته هما الهوية البيولوجية والهوية النفسية. فأما الهوية البيولوجية فقوامها الوعي بالجسد؛ فالجسد حاضر في جميع الثقافات البشرية بوصفه الوجه الأول للوجود، والصورة الأولى للكينونة. يبدأ الوعي بالذات أول ما يبدأ كوعي بالجسد، فالجسد هو العلامة الأولى لوجود الذات، والانتباه للخصوصيات والاختلافات التي تميز كائننا عن آخر، يبدأ أولاً بتمييز الصفات الجسمانية وإحصاء الفروق البيولوجية واختلاف الوظائف والأعضاء بين جسد وآخر.

لكن الوعي بالجسد يتأطر بعد سنوات النمو الأولى في الطفولة، وأثناء المراهقة بأساق رمزية وتنميطات اجتماعية لا تلبث حتى تحدث في الوعي انتقالاً من دائرة الطبيعي إلى دائرة الثقافي. وهنا تصبح الهوية البيولوجية في حديها الظاهرين: العرق والجنس مرتبنة بأشكال شتى من التمثلات الذهنية (أسطورة تفوق العرق الأبيض) والتنميطات الأنثروبولوجية (أنظمة الرق في الملكيات القديمة: الجواري والعبيد) والممارسات اللغوية (الأوصاف والنعوت: الزوج، الهنود الحمر، المنبوذون)، ومحكومة بظواهر سياسية يعضدها القانون أحياناً (التمييز العنصري ضد السود في الولايات الجنوبية الأمريكية، وجنوب أفريقيا سابقاً)، أو خاضعة لتصنيفات اجتماعية متباينة (الأزياء والملابس وتوزيع الأدوار). ومن المفارقات العجيبة أن الجسد البشري هو أول مصيدة تقولب البشر حسب الجنس والعرق، فهو المصيدة الأولى التي نحملها دون أن نشعر بكمينها⁽²⁾.

إن هذا الانتقال من الطبيعي إلى الثقافي يجعل تناول الهوية البيولوجية بمعزل عن غيرها من الهويات أمراً يكاد يكون مستحيلًا؛ فالثقافة بتمثلاتها الرمزية وتنميطاتها الاثنية ومروياتها الأسطورية ومحكياتها الشعبية فضلاً عن نظام القيم وتوزيع الأدوار الاجتماعية تلزم الباحث بفحص الأشكال الأخرى للهوية. ومن هذا الوجه سيكون من العسير إدراك

(1) - ينظر بول ريكور : فلسفة الإرادة الإنسان الخطاء، ترجمة عدنان نجيب الدين، ط 3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003، صص 118-119.

(2) - ينظر فاطمة الوهبي، المكان والجسد والقصيدة، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، صص 33.

سؤال الهوية بغير الوعي بالآخر؛ إذ يرتبط سؤال الآخر بسؤال الهوية ارتباطاً تكاملياً، يقوم من حيث الجوهر على لعبة الاختلاف التي تشكل مرجعاً أنطولوجياً أساسياً لكل هوية. وليس غريباً إذاً أن تسكن قضية الآخر بوصفها موضوعاً ظلية كل الخطابات المعاصرة حول الهوية. إن عالماً لا وجود فيه للآخر المختلف يحرمنا من مظهر أنطولوجي حقيقي لإدراك الذات في أبعادها الحقيقية، وفي صورها الواقعية، التي يتيحها الوعي بمسافة الانفصال أو الاتصال بيننا وبين الآخرين. ومن هنا قد يصير عالم تسود فيه المطابقة مع الذات عالماً لا يطاق؛ لأنه عالم بلون واحد وظل واحد وصورة واحدة⁽¹⁾.

وظالما أن حضور الآخرين هو الذي يحدد الطابع الشخصي لهوية الفرد، لم يعد ممكناً والحالة هذه استغناء الفرد عن حاضنة بشرية واجتماعية يتحقق من خلالها نموه النفسي والشخصي والاجتماعي، بدءاً من البيت والأسرة، ثم الشارع والمدرسة والمؤسسات الدينية والاجتماعية التي تشكل دوائر محيطية، تنمو بتأثيرها الهوية الفردية وتتفاعل بوجودها ضمنها. والواقع أن الهوية على المستوى النفسي ما تفتأ تستدعي ثنائية الأنا والآخر، بوصفها ضرورة وجودية للتعرف على الذات وتمييزها، وتقويم الذات لذاتها، فضلاً عن امتلاك الشعور بوحدة الشخصية على الصعيد البنوي⁽²⁾.

وقد يكون الشعور بالفروق الجنسية عند الكائن البشري جزءاً أساسياً من شعوره بفرديته واختلافه على المستوى النفسي؛ إذ من خلال هذا الشعور تتشكل ردود الأفعال الأساسية، والمواقف النفسية التي هي قوام الأنوثة والذكورة كالحياء والخجل أو الرغبة في السيطرة والتحكم. لكن الهوية الجنسية بوصفها ملمحاً أساسياً في إدراك الفرد لذاته ما تلبث حتى تأخذ تلوينات أخرى هي رهينة النسق الثقافي والأعراف الاجتماعية. وقد أخذت موضوعاً الهوية الجنسية تبرز أكثر في مجال ما أسميناه (الهويات المتشظية) التي سيرد بحثها بعد حين.

2.2 الهوية اللغوية:

تتحدد الهوية اللغوية من خلال الرصيد اللساني المشترك الذي يجمع أفراد

(1) - ينظر طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010، ص.ص 41 - 42 مادة (الآخر).

(2) - ينظر فتحي التريكي، الهوية ورهاناتها، ص 47.

الجماعة البشرية الواحدة؛ إذ يشكل المخزون اللغوي المتضمن للتجارب والأفكار والتصورات والأنظمة الرمزية مرجعا تبرز من خلاله معالم الخصوصية الأولى للجماعة البشرية. ويولي علماء اللغات أهمية كبرى للاختلافات الموجودة بين الألسنة وجذورها التاريخية البعيدة بحثا عن الروابط المشتركة بين المجتمعات البشرية.

ومن الأمثلة الخاصة بهذه الهويات تقسيم اللغويين الغربيين اللغات إلى هندية أوروبية ولغات سامية الخ. ورغم ما تعرض له هذا التقسيم من اعتراضات ونقد⁽¹⁾، إلا أنه يكشف عن وعي عميق بالأطر التاريخية والدينية والأسطورية والثقافية والرمزية التي تتحكم في طريقة إنشاء كل جماعة بشرية لنظامها اللغوي.

ومن المتفق عليه أن لكل نظام لغوي خمسة محددات لغوية تعكس أبنيته المعرفية والرمزية والاجتماعية، وتعكس في الوقت ذاته هوية الجماعة البشرية التي أنشأته، هي:

- أ. محددات معجمية: (الألفاظ والمترادفات ونظام التسمية).
 - ب. محددات صرفية: (نظام الضمائر والأزمنة والأفعال والاشتقاق).
 - ج. محددات تركيبية: (الجمل الاسمية والفعلية وأشباه الجمل، وأساليب الحذف والقصر والتقديم والتأخير).
 - د. محددات مجازية: (النسق الاستعاري والكنائي وأنظمة التخييل).
 - هـ. محددات مقامية: (من الصعب تحديدها بدقة ولكن يستدل عليها من خلال عناصر تحوم حول الخطاب وتشكل سياقاً خارجياً له، ومن مؤشرات المشهورة تغيير طبقة الصوت عبر ما يعرف بظاهرتي النبر والتنغيم).
- ويحيل مفهوم الهوية اللغوية إلى بعض المفاهيم السجالية التي شاعت في العقدين الأخيرين كمفهوم الأمن اللغوي الذي يرتبط بقضايا الاختراق اللغوي، التي تعيشها لغة ما بفعل الاجتياح الاصطلاحي الذي يتسلل مع بعض الحقول المعرفية، إلى داخل أسوار اللغة القطرية الرسمية، ويزرع فيها ما يمكن تسميه بصراع الأنساق اللغوية والثقافية.
- ومن هذا الوجه ذهب المفكر الفرنسي رينيه اتيامبل (1909- 2002) René

(1). ينظر بيير روسي : مدينة إيزيس التاريخ الحقيقي للعرب، ترجمة فريد جحا ط 3، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2004، ص10.

Etiemble إلى تأليف كتابه: "هل تتكلمون الفرنسية؟" (parlez vous le français) سنة 1964، فالنحت الظاهر في العنوان إشارة ساخرة منه إلى حجم الاختراق الذي تعرضت له لغته الأصلية بفعل اجتياح المصطلحات الإنجليزية دوائر العلوم المختلفة، فضلا عن شيوع كثير من المفردات في الحياة العامة، تأثرا بنمط الحياة الأمريكي. ولا ريب أن إتيامبل لا يتحدث هنا عن الاقتراض اللغوي الذي تشهده كل اللغات في فترات التفاعل العلمي والحضاري بين الأمم والشعوب؛ فالأقتراض اللغوي ظاهرة طبيعية وضرورية في السيرورة التاريخية للغة، ولكنه يدق ناقوس الخطر بسبب هيمنة نمط الحياة الأمريكي الذي غزا الحياة العامة الفرنسية بنسقه الاستهلاكي الجارف، ومنظومته الإعلامية الجبارة، التي كانت عاملا فعالا في بسط أشكال الاستلاب الثقافي والحضاري واللغوي الذي أخذ يكتسح الدوائر الأكاديمية والإعلامية والثقافية فضلا عن الحياة العامة.

ووعيا بهاجس الأمن اللغوي يرى عبد السلام المسدي أننا أمة لم تنفك تعمل على ضياع هويتها اللغوية؛ فرغم أن اللغة هي المعمار الخفي الذي به يتشيد الفكر ويستقيم، غير أن أصحاب القرار غالبا ما يتواطؤون مع فئات محسوبة على النخبة كي يتقلص إشعاع اللغة العربية ويتفتت كيائها تدريجيا، في حين أن المفترض هو أن تكون العربية هي اللسان التداولي لكل خطاب يتعلق بعالم الرموز والمجردات؛ فما التماهي بين الذات واللغة إلا جوهر الهوية في ذاتها ولذاتها⁽¹⁾.

3.2 الهوية الاجتماعية:

تتأثر الهوية الاجتماعية بعدة عوامل منها التوزيع الديمغرافي وإكراهات المكان والبيئة الجغرافية، ويحدثنا الجغرافيون العرب القدامى عن دور الحتمية الجغرافية، وأثرها في الطباع والأمزجة وعلاقتها بالأقاليم المختلفة للعالم القديم⁽²⁾. وتمدنا كتب الرحلات القديمة والمعاصرة بسجلات غنية جدا بمواد ثقافية وفلكلورية وكرنفالية (احتفالية وطقسية) من شأنها أن توفر لنا جملة من المحددات التي تشكل الهوية

(1) - ينظر عبد السلام المسدي، الهوية العربية و الأمن اللغوي، ط 1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2014، صص 262 - 265 .

(2) - ينظر محمد مفتاح، رؤيا التماثل، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، صص 9 - 14.

الاجتماعية لأية مجموعة بشرية.

وتستمد الهوية الاجتماعية ملامح وجودها من القواسم المشتركة، التي يتواضع عليها مجتمع ما لإنشاء أنظمتها الرمزية الخاصة بالاتصالات والمبادلات المادية والمعنوية، ضمن الثقافة الاجتماعية، بوصفها مجموعا منسجما للمعاني والرموز المشتركة التي تعمل الجماعة على تعميمها وإعادة إنتاجها ضمن عناصر ماثمالة تتوحد من خلالها التصورات والطموحات والمثل⁽¹⁾.

وترتبط الهوية الاجتماعية بمفاهيم الطبقة والرتبة وتوزيع الأدوار والفئة المهنية والقبيلة والعائلة والشارع والحي؛ فبعض الأحياء السكنية في كثير من مدن العالم، كحي القصبة في مدينة الجزائر، أو حي الأزيكية في مدينة القاهرة، أو حي هارلم في نيويورك له هوية اجتماعية خاصة، تتشكل عبر رأسمال ثقافي ورمزي، هو حصيلة التراكم التاريخي والحضاري والمعرفي، الذي يتيح لساكنيه نوعا من التعاقد الضمني، والتعاقد الخفي يتأسس على الشعور بهوية ما تميزهم عن ساكني الأحياء الأخرى، ويجري تحقيق هذه الهوية الاجتماعية من خلال منظومة أعراف غير مدونة، تنتظم من خلالها سائر المعاملات والمبادلات المعنوية والمادية بين سائر المنتسبين إلى الحي، ثم بينهم وبين الغرباء من أهل الأحياء الأخرى.

ولا ريب أن الخصوصيات الاجتماعية والتاريخية والعمرانية للأحياء العتيقة كحي القصبة بالجزائر العاصمة مثلا، كلها تولّد تمثلات رمزية وأبعادا دلالية، يتفاعل معها سكان هؤلاء الأحياء ويستنسخونها في نسق خاص من العلاقات الاجتماعية، مبني على الوعي بذاكرة الحي التاريخية، وشروطه الثقافية وأعرافه العامة وتقاليده المشتركة.

وقد تلتقي الهوية الاجتماعية مع مفاهيم الزمر الاجتماعية (les groupes sociaux) الناشئة عن التصنيفات الخاصة بالمهن والأنشطة الوظيفية والحركات الاجتماعية، كالنقابات العمالية وجماعات الفلاحين والحرفيين وسائقي سيارات الأجرة، الخ.

4.2 الهوية السياسية:

تتسم الهوية السياسية بطابع تعميمي حاد، لأنها مبنية على أشكال مختلفة من

(1) - ينظر جلييلة المليلح الواكدي، مفهوم الهوية، ط 1، مركز النشر الجامعي، تونس، 2010، ص 154.

الاستقطاب الإيديولوجي (l'endoctrinement) عبر الدعاية المفرطة والإعلام المغرض المجدد لبرنامج إيديولوجي يجري تعميمه على شريحة اجتماعية واسعة. و غالباً ما تستبطن هذه الهوية طابعا قسريا تتجلى فيه كل صور القهر والإكراه والإجبار المعنوية والمادية. ويجري توظيف الوسائل الإيديولوجية للدولة كالمؤسسات التعليمية والدينية ووسائل الاتصال الجماهيري والسينما والراديو من أجل التعبئة ضد عدو مفترض أو طبيعي، خيالي أو واقعي .

ولا تكتفي الهوية السياسية بتوظيف الوسائل الإيديولوجية فحسب؛ فهي بوصفها ممارسة أحادية التصور أو نموذجاً أوتوقراطياً، تدعو إلى ضرب من العصبية الجديدة القادرة على تغذية الكراهية، وعلى نسف العصبية الجماعية السابقة نفسها. ومن هنا ترى السلطة المرتكزة على الهوية السياسية في لجوئها إلى الوسائل القمعية أمراً حتمياً، ويصير انتهاك خصوصية الأفراد جزءاً من وجود هذه الهوية السياسية .

إن إيغال الأفراد في خصوصيتهم يمثل خطراً على الهوية السياسية التي تدرك أن " السر يمثل انحرافاً يلتجئ إليه الفرد كسلاح دفاعي؛ ففراة المعرفة لديها ترغمك على أن تسلم لها حياتك الخاصة، وهوياتك وحميميتك، وأن تخطط فضاء حياتك وتنظم نومك و صحوك وتتحكم في رغباتك وتنتزع السر الذي هو أنت ذاتك، بما أنه لا يوجد بعد الآن سوى سر الدولة والسر المنهني"⁽¹⁾.

ويمكن اعتبار المرحلة الشيوعية في الاتحاد السوفييتي السابق أحد النماذج البارزة على هذا النوع من الهوية المصطنعة التي قامت على حساب هويات متعددة قومية ودينية وعرقية، وفرضت على سائر القوميات في جمهوريات الاتحاد شكلاً من الهوية المغلوطة والمزيفة، التي تبين في أوائل العقد الأخير من القرن الماضي ضعفها ووهنها ومخالفاتها للواقع الموضوعي لأنها قامت على افتراض التكيف مع صورة نمطية كاذبة، أفرزتها إيديولوجيا طوباوية.

وقد تأخذ الهوية السياسية بعداً عنصرياً وعرقياً، كما يتجلى في حركات التمرد العسكري والسياسي ذات النزعة الانفصالية. ونموذج الأكراد الشماليين في العراق هو

(1) - فتحي التريكي، الهوية ورهاناتها، ص46.

الأظهر في الوطن العربي رغم أن له نسخا متكررة بأسماء مختلفة، إذ ينهض الخطاب السياسي لهذه الجماعات المتمردة على تصور هوياتي عرقي بالدرجة الأولى، وهو في الآن نفسه يستبطن خطابا مناهضا للدولة القطرية ورموزها، انطلاقا من عقيدة الولاء للأجنبي والدخيل الذي تراه هذه الجماعات محررا لها من هيمنة الدولة القطرية.

وتتعلق الهوية السياسية في الظروف الطبيعية مع مفهوم الدولة القطرية أو الوطنية. لكن هذا المفهوم ما يلبث أن تتنازعه مفاهيم الجماعات العرقية و السلالية التي يتشكل لديها إحساس حاد بالانتماء في حدود العرق أو السلالة أو الطائفة الدينية. لهذا تعدد الدولة القطرية إلى تجاوز هذه الفروق باعتماد مفهوم بديل هو مفهوم المواطنة، الذي يوظف الأطياف المختلفة للمجتمع ضمن دولة مدنية، تحكمها منظومة قوانين تسمح بالتعايش السلمي بين مكونات المجتمع.

ومن مظاهر الهوية السياسية الفائضة عن الحاجة تلك التحيزات السياسية التي شرعت في الظهور منذ الخمسينيات من القرن الماضي، وأقيمت لأجلها مؤتمرات دولية في الجزء الجنوبي من الكرة الأرضية ضمن دول عدم الانحياز. ومن أشكالها المائعة ما يروج بديلا عن الهويات القومية المتطاحنة، كالهوية المتوسطية إذ يقوم هذا الزعم على اختيار الفضاء الجغرافي المشترك كمرتكز أساسي تقوم عليه مجموعة من المغالطات الامبريالية الاستدمارية المبشرة بإيديولوجيا العولمة معتمدة سياسة الاستتباع والإلحاق ومتناسية عوامل التاريخ والعرق واللغة والثقافة والحروب والصراعات في محاولة للتمويه على الاجتياح الرأسمالي المتوحش وتحويل دول جنوب المتوسط إلى سوق كبير للبضائع الاستهلاكية الغربية.

5.2 الهويات المتشظية (هويات ما بعد الاستدمار):

مع نهاية العقد الأخير من القرن العشرين (1998) نشر أمين معلوف كتابا مثيرا للجدل هو: (الهويات القاتلة)* كاشفا موقفه الحاد إزاء جدل الهويات. وقد تميز الكتاب بقسوة وإدانة سافرتين، ترومان تجريم كل من يتشبث بالهوية، أو يدعو إليها، فقد عمد

* - Amin Maalouf: les identités meurtrières, éditions Grasset & Fasquelle, paris . 1998.

معلوف في الكتاب المذكور إلى شجب المغالاة في التمسك بالهويات على اختلافها، أو توظيفها كعنوان لمطالب اجتماعية أو حزبية أو إثنية؛ فقد صدع الواقع اللبناني بمآسيه وجراحه صاحب الهويات القاتلة فجنح إلى اعتبارها ألغاما ثقافية وعرقية تفتك بنسيج المجتمع، وذهب إلى أنها تقوض أركان التعايش مع الأعيان، وتنفي أي احتمال للتواصل مع الآخر المختلف⁽¹⁾.

لكن هذه الرؤية لا تسلم مطلقاً من خلفية إيديولوجية ذات طابع امبريالي عولمي، يتسلل إلى وعي المثقف الهجين، الذي تعرض لما يسميه بيل أشكروفت Bill Ashcorft الإزاحة عن المكان (dislocation)؛ فقد تسبب تجارب اجتماعية وسياسية قاهرة كالهجرة القسرية أو الاسترقاق واللجوء السياسي والحروب والإبعاد و النفي، في إضعاف شعور الإنسان بالمكان الأصلي وأهميته، ثم ينتهي التشويه الاجتماعي والثقافي والقمع الواعي أو غير الواعي للشخصية والثقافة الأصليتين إلى فرض نموذج اجتماعي و ثقافي عنصري يفترض دائماً أنه الأعلى؛ مما يبقي ديالكتيك المكان والإزاحة ملمحاً دائماً من ملامح مجتمعات ما بعد الكولونيالية وكتاباتها وأدبها. وهكذا تسهم عملية إفقار المكان من رمزيته الأثروبولوجية وتجريده من دلالاته التاريخية والحضارية، عبر تفكيك النسيج الاجتماعي في إضعاف الروابط الوجدانية التي تصل الإنسان بالأرض والتراب أو الوطن⁽²⁾.

ويرى تيري ايجلتون أن الدول المطمئنة إلى هويتها الثقافية الواحدة خلقت رعايا من الشعوب الكولونيالية لم تلبث ذريتهم أن التحقت بهم كمهاجرين، مما عرض للخطر تلك الوحدة الثقافية... وهكذا تعرضت ثقافة الدولة_ الأمة (state - nation) للخطر... فالرأسمالية العابرة للقوميات تضعف الثقافات القومية... ولقد غدا الواحد منا، كما يقول ليوتار يستمع إلى الريغي، ويشاهد فيلم ويستيرن، ويأكل طعام الغداء من ماكدونالد وطعام العشاء من مطبخ محلي، ويرش عطراً باريسياً في طوكيو ويرتدي ملابس ريترو في هونكونغ. وفي حين يطوف المهاجر العالم، فإن العالم يغدو كوزموبوليتانيا. والمهاجر يستطيع العودة إلى وطنه، في حين أن الكوزموبوليتاني لا وطن

(1). نفسه، ص15 .

(2) - بيل أشكروفت وآخرون، الرد بالكتابة النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، ترجمة شهرت العالم، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2006، ص 27 .

له كي يمضي إليه" (1).

6.2 الهويات الجنسية (الجندر):

ترتبط الهوية الجنسية (الجندر) بإدراك المرء لذاته ووعيه بأنه ذكر أو أنثى. لكن هذا الوعي لا ينتهي عند حدود الذات الفردية، بل يتجاوزها إلى الوعي بمدى الانسجام أو عدم الانسجام مع منظومات القيم الاجتماعية والتربوية والسياسية وموقفها من الجنسين؛ إذ يجري ترتيب الأدوار الاجتماعية وتوزيعها بين الرجل والمرأة (الذكر والأنثى) وفق زمرة من الخطاطات الثقافية والتمثلات الرمزية والأنظمة الهرمية، التي تكون موضع إجماع أو اتفاق صريح أو ضمني، شفوي أو مكتوب، بين أفراد المجتمع.

ويسري في العقود الأخيرة نقد قوي للمنظومة الاجتماعية والسلطوية المنسوبة إلى الأب/الرجل (patriarcal) ومع رفض حاد لتمثلاتها الاجتماعية والثقافية الخاصة بالفروق الجنسية، بوصفها منظومة ظالمة مجحفة وقائمة على التمييز الجنسي المتعسف بين الرجل والمرأة من جهة، وبين هذين النوعين وأنواع أخرى هجينة، ما فتئت تعلن عن نفسها وتطالب بحقوقها، نذكر بعضها كما يلي:

- المتغيرين جنسيا (Transsexual): الأشخاص الذين تم تحديد جنسهم عند الولادة بجنس معين ولكنهم يُعرفون أنفسهم بشكل مختلف.

- ثنائي الجنس (Intersex): وهم الأشخاص الذين لا يمكن بسهولة تصنيفهم على أنهم "ذكور" أو "إناث" استنادا إلى خصائصهم الجسدية عند الولادة أو البلوغ.

- محبو ارتداء ملابس الجنس الآخر (Cross-dresser): الشخص الذي يرتدي لأسباب عاطفية أو نفسية ملابس ترتبط عادة بالجنس "الآخر" (2).

غير أن مسألة الهوية الجنسية لا يمكن أن تتعين معرفيا وإيديولوجيا بغير موضوعة الجسد، الذي يحضر بوصفه هوية (identité corporelle) ما تزال محل جدل

(1) - تيري إنغلتون، فكرة الثقافة، ترجمة ثائر ديب، دار الحوار، اللاذقية، ط د، ت (ظهرت النسخة الانجليزية حسب دار الحوار في 2007). ص 134.

(2) - ينظر موضوع الهوية الجنسية على موقع: Ontario's Human Rights Commission الكندي ورابطه هو: www.ohrc.on.ca تاريخ المعاينة 2015/07/15.

متواصل، لما لها من علاقة قوية بحقل الدراسات الثقافية وكتابات ما بعد الكولونيالية؛ ذلك أن تملك الجسد وتسويقه وإدراجه في دورة استهلاك على نطاق واسع يشغل رمزيا كتوكيد لإرادة الهيمنة والتسلط، من خلال إلغاء الآخر وتحويله إلى مجرد جسد قابل للبيع، وخاضع للمبادلات التجارية. بل إنه ليصير فوق هذا كله فضاء لتوقيع الاستعمار وختم سلطته، كإعلان منه عن امتلاك هذا الجسد المستلب الهوية.

وقد ظهرت كتابات عديدة تعري هذا النمط من اختزال هوية الشعوب التي جرى احتلال أراضيها وسحقها رمزيا، من خلال إنشاء دور بغاء للترفيه عن جنود الاحتلال، تكون مادتها الأساسية هي نساء الأهالي اللواتي يجتلبن من القرى والأرياف إلى المراكز المدنية كالدار البيضاء في المغرب الأقصى و سايغون في الهند الصينية وغيرها؛ إذ لم يكتف الاستعمار الفرنسي باستيطان الأرض، ولكنه انتقل إلى مرحلة أخطر هي استيطان الجسد (la colonisation du corps).

لقد كانت عقيدة التفوق العرقي عند البيض تتبنى استراتيجية عنصرية racist تقوم على نسبة الصفات المؤنثة إلى الجماعات الاثنية الملونة التي تم احتلال أراضيها؛ فالرجال في تلك الفئات، كالآسيويين والأفارقة والأمريكيين الأصليين كلهم وصفوا بما ينتمي إلى الحقل الدلالي للمؤنث، وهكذا جرى استيعابهم وتصنيفهم وتحديد هويتهم في الذاكرة الغربية عموما وأنجلوساكسونية خصوصا.⁽¹⁾

وعلى هذه الصورة فإن السلطة الاستعمارية، بتملكها لجسد الإنسان الخاضع للاحتلال، تضفي على نفسها هوية جنسية بما هي هيمنة ذكورية محضة. وبالمقابل فإن استسلام الشعوب الضعيفة وخضوعها للقمع الاستعماري تجري قراءته بوصفه فعلا مؤنثا ينطوي على كل معاني الإذلال والإهانة الناشئين عن فعل التأنيث القسري الذي يمارسه المحتل .

وقد بينت كريستال تارو (Cristelle Taraud) في كتابها البغاء الكولونيالي كيف أفرط الاستعمار الفرنسي في صناعة تجارة البغاء بنساء أهالي كل من الجزائر وتونس

(1) - ينظر ديفيد غلوفر و كورا كابلان، الجنوسة الجندر ترجمة عدنان حسن، ط 1، دار الحوار، اللاذقية 2008، ص 57.

والمغرب، وتوظيفها رمزياً وسياسياً كعامل قتل لهوية السكان المحليين، عبر تعمد تشيئتهم وإذابة عوامل المقاومة المعنوية في نفوسهم*، إمعاناً في الإذلال والتنكيل على النحو الذي ذكرنا آنفاً. ولعل نموذج سجن أبو غريب (سجن أمريكي في العراق) الذي تم فضحه وإدانته عالمياً هو خير دليل وشاهد على هذه الحقائق.

3. خاتمة:

وصفوة القول هي إن البحث في الهوية ينتهي بنا إلى إقرار تصورين: الأول كلاسيكي تؤول جذوره إلى الميتافيزيقا القديمة والمنطق الأرسطي، إذ ينهض على تصور الهوية بوصفها كلا متجانسا ووحدة متكاملة، من حيث خصائصها ومكوناتها وجوهرها الذي يظل ثابتاً رغم التحولات الخارجية التي تصيب أعراضها وبعض جوانبها؛ لأن الأصل فيما هو تطابق الإنسان مع ذاته، وتوافقه مع روافد شخصيته وثقافته وانتمائه، رغم الأعراض التي قد تطرأ عليه كالانتقال في المكان أو التقدم في السن أو غيرها.

والآخر هو التصور الحدائي وما بعد الحدائي الذي يتنكر للهوية ويفككها، وينزع عنها أيه قداسة؛ لأن الهويات الجديدة هي هويات الماكدونالديز والهامبورغر وهاليبورتون وستاندارد أويل. بل إن الهويات الرقمية الجديدة، هوية تويتر والفسبوك ومواقع التواصل الرقمية والبطاقات الممغنطة أضحت بديلاً عولمياً تقوده الرأسمالية المتوحشة من أجل اجتياح كل الحدود الجغرافية والثقافية والسياسية والوطنية والدينية على السواء.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- باللغة العربية:

- أشكروفت، ب. (2006). الرد بالكتابة النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة (ط 1). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

* - يمكن أن تراجع في هذا الموضوع الكتب التالية:

- Cristelle Taraud, la prostitution coloniale Algerie, Tunisie, Maroc, (1830 – 1962) Ed payot, paris.2003.
- Cristelle Taraud, « amour interdit» marginalité, prostitution, colonialisme, (Maghreb, 1830 – 1962). Ed petite bibliothèque payot, paris.

- إيغلتن، ت. (2007). فكرة الثقافة (ط1). اللاذقية: دار الحوار.
- بن الجوزي، ع. ا. (1990). أخبار الحمقى والمغفلين (ط 1). بيروت: دار الفكر اللبناني.
- بنكراد، س. (2006). سيميائيات الصورة الإشهارية (ط 1). الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
- التريكي، ف. (2010). الهوية ورهاناتها (ط 1). تونس: الدار المتوسطة للنشر.
- الجرجاني، ع. ب. م. (1991). التعريفات. بيروت: دار الكتاب العربي.
- دي سارفانتس، م. (1999). دون كيشوت (ط 1). بيروت: دار الفكر اللبناني.
- روسي، ب. (2004). مدينة إيزيس التاريخ الحقيقي للعرب (ط 3). دمشق: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع.
- صليبا، ج. (1982). المعجم الفلسفي (ط 1). بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- كابلان، ك. (2008). الجنوسة (ط 1). اللاذقية: دار الحوار.
- الكفوي، و. ا. (1991). الكليات (ط 2). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- المسدي، ع. ا. (2014). الهوية العربية والأمن اللغوي (ط 1). بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- مفتاح، م. (2005). رؤيا التماثل (ط 1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- ميكشيلي، أ. (1993). الهوية (ط 1). دمشق: دار الوسيم للخدمات الطباعية.
- الواكدي، ا. (2010). مفهوم الهوية (ط 1). تونس: مركز النشر الجامعي.
- الوهبي، ف. (2005). المكان والجسد والقصيدة (ط 1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- Ontario's Human Rights Commission : على موقع :
الكندي وابطه هو : www.ohrc.on.ca . تاريخ المعاينة 2015/07/15
ب- باللغة الأجنبية:
- Maalouf, A. (1998). *les identités meurtrières*. paris: éditions Grasset & Fasequelle.
- Taraud, C. (2003). *la prostitution coloniale*. paris: Ed payot.
- Taraud, C. (2012). *amour interdit*. Ed petite bibliothèque payot.